Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو، إذ أراد أن يسخر من أهل مصر، استعمل لفظة «عضاريط» وهي لفظة مضحكة حيث وقعت، على غرابتها، فجاءت معبّرة بصورة جيدة عن المعنى المقصود وهو الجبن وحِطّة الشأن، فلم تعد نافرة في هذا الموضع، واستمدت من هذا الواقع فصاحتها.

٢ ـ ب ـ فصاحة المركّب: يقول عبد القاهر الجرجاني: «وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: لفظة قلقة ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلقِ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقاً[٢٤] للتالية في مؤدّاها؟»[٢٥] ومعنى كلام الجرجاني هنا أن الكلمة لا تقاس فصاحتها بمعزل عن التركيب، بل داخله. فإذا رَكّبْتَ مجموعة من الكلمات صار النظر في فصاحة كلماته يفترض أيضاً النظر في فصاحة جمعها، لأن اللفظة قد تكون فصيحة إذا كانت خارجة، ولكنها، عند جمعها مع أخواتها، تصير نافرة، لا تتلاءم وما يجاورها. فما هي الشروط التي يفترض أن تكون متوفّرة في التركيب لِيُقَالَ إنه فصيح؟

١ ـ خلوّه من تنافر الألفاظ: قد تكون كلمات المركّب فصيحة إذا نُظِرَ إليها كلاً على حِدَة، ولكنكَ عند جمعها وقراءتها في المواضع التي جعلتَ تجدها متنافرة، نابية. كقول أحد الجن من الهاتفين صاح على حرب بن أمية فقتله:

وَقَـبْـرُ حَـرْبٍ بِـمَـكَـانٍ قَـفْـرُ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[٢٦]

فالألفاظ التي جاءت في هذا البيت، إذا نُظر إلى كل لفظة منها بمعزل عن

---

(٢٤) اللفِق: الشقة من شقتي الملاءة، وهما لفقان ما دام أنهما يتضامنان فإذا فتقت خياطة الملاءة لا يسميان لفقين. ويراد أيضاً باللفقين الصاحبان المتلازمان، وكذلك المصنّف في الكلمتين المتناسبتين.

(٢٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٦.

(٢٦) قيل إن أحداً لا يستطيع التلفظ بهذا البيت ثلاث مرات متتالية من غير أن يخطئ لتنافر حروفه (أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٢).